هجعة الاحقاد

لحضرة الاستاذ الالمعي صاحب التوقيع

كان الإنسان فيما مضى يغفر لمن اعتدى ، و يعفو عمن اساء لان نفسه طهرت من اقذار الغل ولم يعد في جوانبها مكان للضغن ولان حقائق الاشياء تكشفت لعينيه فأدرك ان الشر لا يدفع بالشر وان النار انما تذكيها النار

ذكرت ذلك الماضى وذكرت ما نحن فيه الان فغلبني البكاء

نعم بكيت لأني رأيت الناس قد شغلتهم اطماعهم حتى تصدع بناء الاخلاق ولان الشهوة تغلغلت في نفوسهم فاصبح نور الفضيلة لا ينفذ الى الابصار ولان شريعة السماء قد نسختها في الارض شريعة الاهواء ولان المادة تصبح الها تعبده الضمائر من دون الله.

بكيت لان الرحمة اقفر مكانها من النفوس

ولقد دعاني اليه مرة صديق طلب الي ان اقضي عنده شطراً من الليل. وكان يقيم بدار تطل على مقابر الموتى. فلما غشيه النوم انحدر الي مضجعه و بقيت وحدي فخطر لي ان اعتلي سطح تلك الدار لعلي انصرف الى غير همي . وعند ذلك هزني جلال الليل ولكن ظلمته راعتني وانا لا اميز الاشباح الصامتة القائمة امامي حتى اذا اطل القمر من شرق الافق و بسط على الكون رداء لطيفا من نوره الضئيل اخذ بصري يمتد عن يميني فرأيت مدينة الاموات بالغة سفح الجبل وعن يساري فوقعت عيني على مدينة الاحياء بالغة ضفة النيل .

في تلك اللحظة كنت كأني اطل من مكاني على الدنيا والآخرة معا واشرف على هاتين المدينتين وكأنهما اختان اخذ النوم بماقد اجفانهما فسكنتا تلك الى الغد وهذه الى الابد

وعندئذ تمثلت لي احوال هذا العصر وما دب فيه من فساد وتسلل اليه من من فتنة وكدر صفاءه من اباطيل الحياة الفانية

وكذلك تمثلت الجو الذي يتنفس الناس فيه وكم هو مشبع بزفراتهم تحمل معها جراثيم الاحقاد وسموم الغل

ولكن النسيم أخذ يهب من جهة الشمال لطيفاً بليلا كأنه يطرد هذا الجو الذي افسدته شهوات النهار ووقعت عيني مرة اخرى على تلك النفوس النائمة فراقني سكونها وقد امتنع عن سوء الظن ووقفت حركة ايديها عن البطش وارتكاب الحرمات

نعم خيّل الي وقتئذ انني عند لحظة لبست فيها الطبيعة ثوب عفافها وطهرها وانني اقطع مرحلة من مراحل الحياة تنزهت عن الاثم وهجمت عندها الاحقاد

ولكنني لم البث أن طرق سمعي صياح الديكة ومناجاة المؤذنين فوق المنائر فأدركت ان هذه المدينة النائمة اخذت تستيقظ وقد طفق الناس يمرون في الطريق تحت عيني والاصوات تنفذ من خلال الابواب والنوافذ كما انني لمحت من بعيد عربة من عربات السجن تعدو مسرعة وبعض رجال الشرطة يسوقون رجلا ملطخاً بالدم وآخر امامه موثوق اليدين .

وعند ذلك ايقنت ان تلك المرحلة لم تكن سائرة الى الشر وان الاحقاد لم تهجع عينها في سواد الليل الا لتستأنف وثباتها من جديد عند بزوغ الشمس

هكذا لا تطلع الشمس عند كل صباح الا على مأساة ولا تغرب الا فراراً مما تركه بياض النهار خلفها من ظلمات المآسي

فهل ترى لا تقف مطامع البشر الا اذا ضمت الى صدورها مدينة الاموات اختها مدينة الاحياء ؟

محمود خيرت
بسكرتارية مجلس الشيوخ

قال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة ... رغداً بلا قتر صفواً بلا رنق

خلّص فؤادك من غل ومن حسد ... فالغل في القلب مثل الغل في العنق